المحاضرة التاسعة: ابن شهيد: (382ه-426ه)

حياتـــــــــــــــــــه: هو أحمد بن عبد الملك بن شهيد الشاعر والأديب والناقد.كنيته أبو عامر، ولد بقرطبة وفي هذه البيئة نشأ و عاش حياة حافلة. فعرف الأمراء والوزراء وكان معجبا بشعره ونثره، معليا من مكانته ما يراه من نفسه من الذكاء والمقدرة، وعلى الرغم من ذلك فإن أصدقاءه كانوا كثيرين وهذا الإعجاب وضعه في موضع التفرد في نظر نفسه، فأراد أن يثبت وجوده وتفرده.

مؤلفاتـــــــــــــــه: من مؤلفاته ذات الطابع النقدي:

حانوت عطار، رسالة التوابع والزوابع ورسالة متفرقة تحدث فيها عن البيان. الكتاب الأول ضاع أما رسالة التوابع والزوابع أو شجرة الفكاهة فقد كتبها لصديقه أبي بكر يحيى ابن حزم يعرض فيها لأروع نتاجه ويتهكم بمن كان يكايده من أهل قرطبة، وقد احتفظ ابن بسام في الذخيرة ببعض منها وهي تعتمد الفكرة القديمة في أن لكل شاعر شيطان (تابع) من الجن يلهمه الشعر، وقد أبطل فيها اعتقاد المرزوقي أن الجودة في الشعر والنثر لا تستقيم لشخص واحد. لذا عرض ابن شهيد شعره على قدماء الفحول: كامرئ القيس، وطرفة ابن العبد، والمحدثين كأبي نواس وأبي الطيب المتنبي، فكل أجازه وشهد له بالإجادة ثم عرض نثره على الجاحظ وعبد الحميد بن يحيى فأجازاه كذلك فاستوت له التقدمة في الصناعتين، وهرب له تابع بديع الزمان الهمذاني حسدا وكمدا، وقال له صاحبا عبد الحميد والجاحظ <<اذهب فإنك شاعر و خطيب>>.

و لو كانت رسالة التوابع والزوابع وصلت إلينا كاملة، وكتب أخرى ضاعت لابن شهيد لاتضحت مكانته الحقيقية في تاريخ النقد الأندلسي.

آراؤه النقدية:

مسألة البيان:تعرض ابن شهيد لموضوع البيان كيف يتأتى للإنسان، و ما هي أدواته و آلاته،و هو يرى أن البيان نتاج شيئين متلازمين: **الطبع**، ويعني به ما فطر عليه المرء من موهبة ومقدرة، و**الآلة**، مما يستطيع التعليم أن يوجه به ،ويصقل وينمي، ولا تستطيع الآلة وحدها أن تنفع في شيء، والطبع مركب من شيئين: الروح أو النفس والجسم ورأيه أن الروحانية إذا غلبت على الجسمانية طلعت صور الكلام والمعاني في أجمل هيآتها وأروع لبساتها، وإذا غلبت الجسمانية كان ما يطلع من تلك الصور ناقصا عن الدرجة الأولى في الكمال والتمام. ويعطى هذه الروحانية قوة تستطيع أن تصبغ على الكلام رونقا وأن تأتي بالغريب (تركيب الحسن من غير الحسن) وهذه نظرية طريفة في الجمال تعد من ابتكاره ، وضرب مثلا: يقول امرؤ القيس :

أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الطَلَلُ البالي وَهَل يَعِمَن مَن كانَ في العُصُرِ الخالي

فهذه ألفاظ عادية ولكن تعلق في النفس و تستولي على القلب.

فالكلام عن الطبع قديم عند المشارقة ولكن الجديد هو تفسير الطبع بأنه غلبة النفس على الجسم، وهذا لم يرد عند المشارقة.

السرقات:

سبق الحديث عن ابن عبد ربه أنه كان يرى الأخذ سائغا إذا أحسن المرء ذلك، ورأي ابن شهيد لا يبتعد عن ذلك، فالأخذ عنده درجات، فمن الشعراء من يأخذ ويزيد فهو محسن ومنهم من يقصر فهو مسيء، وروى طرفا من حديث جرى بينه وبين الجن مما تعاورته الشعراء من المعاني ومن أحسن ومن قصر، ووضع اسما للأخذ، وأجرى ذلك على لسان شيخ من الجن يعلم ابنه صناعة الشعر: "إذ اعتمدت معنى قديما سبقك إليه غيرك فأحسن تركيبه وأرق حاشيته،و إذا لم يكن بد ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن لتنشط طبيعتك وتقوي منتك ".

اللفظ والمعنى:

تكلم ابن شهيد عن هذه القضية عبر نصائح وجهها إلى الأديب الذي يريد أن يأتي بما يشيع اسمه وينشر ذكره، وهو ينصح بالبحث عن اللفظ الرائق والمعني الرفيع بحيث يحصل باجتماعهما **البيان**: الذي طالما أشار إليه، ويحذر من تزويق اللفظ وبهرجته بما يذهب بأصالته ونصاعته فكم من شعر فضي البشرة رصاصي المكسر، فإذا اجتمع للأديب المعني الكريم في اللفظ الكريم إلى شيء من البديع، مع توشية بنادرة أو حكمة فقد حاز ما يريد وإنما يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان وتعمد كرائم المعاني و الكلام وأن ينطق بالفصل.**و** ابن شهيد على تطلبه لحسن اللفظ وجمال المعنى يعجب بالبديهة ويعتبرها ميزة، ويرتاد ساحتها.

هذا ابن شهيد الناقد الذي ساعدته سخريته وشاعريته وحدة ذكاءه وذوقه وضع بعض المصطلحات النقدية وأدرك تطور الشعر العربي والكتابة الفنية في مدارسها الشرقية وأصدائها الأندلسية وسوغ الأخذ بحدود. وأبدى إعجابه بمعارضة المتقدمين، وأعجب بالبديهة وفضلها على التروي وحاول أن يفهم البيان ويضع للمبين صفات وقواعد .